المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences
Impact factor isi 1.651
العدد الرابع والعشرون _ نيسان _ 2024

تعالق الصوت بالدلالة في اللفظ القرآني

(سورة النمل أنموذجا)

الباحث : هند مهدي حسن

إشراف : ا. د. محمد أسعد النادري

ملخص البحث:

لا يخفى على أحد أثر الصوت في دلالة الكلمة، لما يؤديه من فروق في الدلالة بين الكلمات، فترتيب الأصوات في الكلمات وائتلافها معا يؤدي إلى إيصال الدلالة المرادة إلى المتلقي لما للأصوات من وقع في النفس البشرية وتأثيرات مختلفة باختلاف الصوت وما يتميز به من صفات، فقد لحظنا أن القرآن الكريم يستعمل الألفاظ بدقة شديدة وذلك لضمان إيصال المعنى بأوضح صورة له.

وقد كان للأصوات في آيات القرآن الكريم بشكل عام، وسورة النمل بشكل خاص الأثر الواضح في إثراء المعنى وإعطاء الدلالة معنى واسعا ورسم صور سمعية واضحة تنبه المخاطب وتدل على المراد بأوجز لفظ وأغناه.

ولهذا جاء هذا البحث ليقف على بعض تلك الدلالات التي جاءت نتيجة استخدام أصوات محددة، وأدّت بائتلافها في بنية الكلمة دورا في إنتاج الدلالة المعنوية التي أغنت السّياق ودلّت على المعنى بأقل لفظ.

الكلمات المفتاحية: أصوات، دلالات، القرآن الكريم.

Abstract:

There is no doubt about the sound effect of the word connotation since there are differences in the significance between the words .so the arrangement of the sound in the words and their combination together lead to conveying the intended meaning to the receiver because sounds have an impact on the human psyche and different effects that vary according to the sound and the qualities he excels in. It is noticed that glorious Quran uses sounds accurately for the sake of transportation the meaning in write large the sounds had a clear effect in the glorious Quran in general and surah anNaml in particular with richness the meaning give significance an extensive meaning ,formalize an audio clear describes .

It is stimulate the interlocutor and denote the intended with briefly and wealthiest pronounce .

So the present study is to trace these indications of sounds in the glorious Quran. As for their individual sounds and their coexistence in the structure of the word there is a role in producing the semantic significance to enrich the context and refer to the meaning in the least utterance.

Key words; sounds, significance , glorious Quran.

ISSN: 2709-5312

المقدمة:

وضعت اللغة للتعبير والدلالة عما يريد المتكلم بها أن يوصله للسامع أو القارئ ، وجميع الجوانب التي تدرس اللغة هدفها تبيين وإظهار المعنى، وعند دراسة اللغة بتفصيلاتها يجب أن يدرس الصوت أو الحرف كأول جزء من أجزاء اللغة باعتباره المكون الأول و الأساسي في تكوين الكلمة ، واختلاف الصوت في كلمتين متشابهتين يؤثر في اختلاف المعنى ، ويمكن اعتبار العلاقة بين اللغة والانسان علاقة حميمة فهي لصيقة بوجوده وطبيعته باعتبارها ظاهرة اجتماعية ، ووسيلة للتواصل والتفاهم بين البشر فقد عرفها ابن جني بقوله: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[1] .

واللغة بحسب وصف ابن جني لها تتضمن ثلاثة جوانب: الجانب الصوتي، والجانب الاجتماعي، إضافة إلى الجانب الوظيفي. ولدراسة أي لغة أو أي نص أدبي يجب البدء بالأصوات بوصفها الأساس في الكلمة كما ذكر البحث سابقا وباعتبارها وحدات مميزة تنتج منها آلاف الكلمات ذات الدلالات المختلفة باختلاف أصواتها.

وبما أن القرآن الكريم هو أرفع وأسمى نص موجود على الإطلاق من حيث البناء والغاية والدلالة فقد ذُكِر فيه أو استُخدم فيه كل ما تمتلكه الأصوات اللغوية من ميزات في اختيار الألفاظ وترتيب الأصوات فيها، فغدا الصوت فيه صورة متميزة للتناسق الفني وتحقيق دلالاته المرجوة لما يتميز به من صفات مختلفة باختلاف أنواعه، فكان أداته في إيصال معانيه .

[1]–ابن جني، أبي الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1999، ج1، ص33.

ISSN: 2709-5312

المتفردة والإحاطة بها، بحيث لا يمكن أن تحل لفظة مكان أخرى من حيث تناسق أصواتها وائتلافها مع سياقها العام الذي يؤدي الغرض المراد منه.

ولذلك نالت قضية العلاقة بين الصوت ومدلوله قسطا وافرا من اهتمام اللغويين ... بل أصبحت هذه القضية محورا للدراسات اللغوية الحديثة[1]

فالكلمة التي تتألف منها الجمل القرآنية تمتاز بجمال وقعها في السمع، واتساقها في المعنى، واتساع دلالتها والدقة في الاختيار والتصوير.[2]

لذا جاء البحث ليجلي اللثام عن الأصوات في القرآن الكريم ومدى قربها من الدلالة المراد إيصالها إلى القارئ المتمعن في آي القرآن الذي كان من إعجازه أنه استوعب جميع مظاهر الدلالة في مجالاتها الواسعة، فالخطاب فيه يبتغي الإقناع ويهدف إلى صياغة واقع جديد، وغرضه الإصلاح والإرشاد ومن إعجازه أنه استخدم في كل موضع ولكل دلالة أصواتا تناسبها وتؤديها بأدق المعاني وأفصح الألفاظ وأجزلها.

وسيأتي البحث ليبحث في الصوت والدلالة من ناحية اللغة والاصطلاح لكل منهما ثم سيكمل تطبيق كيفية تعالق الصوت بالدلالة في القرآن الكريم مستفيدا من سورة النمل كنموذج تطبيقي على إثبات مدى الترابط بين اللفظ أو الصوت والدلالة.

[1] – انظر، مجاهد عبد الكريم، الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء، عمان، 1958، ص 203

[2] – فاعلية الصوت في إنشاء الدلالة في المفردة القرآنية، نماذج من القرآن الكريم، إعداد: زياني بثينة، رحال شهرزاد، إشراف الأستاذ عمران رشيد، مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر، 2021 – 2022، ص 29–30.

الصوت لغة واصطلاحا:

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس تعريف الصوت بقوله:

"الصاد والواو والتاء أصل صحيح، وهو جنس لكل ما وقر في أذن السامع، يقال هذا صوت زيد. ورجل صيّت، إذا كان شديد الصوت وصائت إذا صاح. والصيت: الذكر الحسن في الناس، يقال ذهب صيته."[1]

أما في معجم العين للفراهيدي (ت 175هـ) فعرف الصوت بقوله:

"صوّت فلان تصويتا أي دعاه، وصات يصوّت صوتا فهو صائت بمعنى صائح، وكلّ ضرب من الأغنيات صوت من الأصوات، ورجل صيت حسن الصوت وفلان حسن الصيت له صيت وذكر في الناس حسن"[2].

هذان تعريفان للصوت لغة في معجمين من معاجم العرب وكلاهما يقدم تعريفا للصوت مشابها للآخر.

أما عن تعريف الصوت اصطلاحا فقد عرفه إبراهيم أنيس بقوله:

"الصّوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها قبل أن ندرك كنهها ...كل صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتزّ، على أن تلك الهزات قد لا تدرك بالعين في بعض الحالات "[3]

وأما ابن سينا فيقول عن الصوت: "أظن أنّ الصوت سببه القريب تموّج الهواء دفعةً بسرعة وبقوّة من أيّ سبب كان"[1]وبالرغم من كون اللغة أو الأصوات والكلام هي الأداة الأولى للتواصل بين الناس فاللغة وخاصة

4–أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط1، مادة (صوت).

[2]–الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح: مهدي المحزومي وإبراهيم السمرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، مادة صوت، ج7، ص 146.

[3]–إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1975، ص6.

ISSN: 2709-5312

العربية لم تحفظ للوقت الحاضر بسبب تداولها بل السبب الرئيسي بحفظها هو كونها لغة القرآن الكريم الأمر الذي يقتضي دراسته والتمعن في آياته والأصوات التي تكونها والتي اختارها الله تعالى بعناية إلهية فائقة ليوصل للبشر معانيه العميقة الدقيقة بإعجاز ووضوح.

والمعروف أن حروف العربية تسعة وعشرون حرفا بحسب ابن جني بقوله "اعلم أن أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفا، فأوّلها الألف وآخرها الياء على المشهور من ترتيب حروف المعجم "[2]

ولكل حرف من الحروف صوت مختلف عن الآخر كما أن كل حرف يؤدي وظيفة مختلفة وقد قسم اللغويون القدامى وعلماء التجويد مخارج الأصوات بدءا من الجوف أو الحلق وانتهاء بالشفتين، وقد وقّت هذه الحروف بالمخارج الصوتية كلها.

الدلالة لغة واصطلاحا:

جاءت لفظة دلالة من اشتقاقها من الأصل الثلاثي (د. ل. ل) بمعنى الاهتداء إلى الطريق يقول الزمخشري:

"دلّه على الطريق، وهو دليل المفازة وهم أدلاؤها، وأدللت الطريق: اهتديت إليه، ... والدّال على الخير كفاعله"[3]. أي أن الدلالة باعتبار الزمخشري هي الإرشاد إلى الطريق الموصل إلى مكان ما

وجاء في لسان العرب لابن منظور في مادة (دلل) ما يلي:

---

[1] –ابن سينا، أسباب حدوث الحرف، تح: محمد حسان الطيّان ويحي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ص56.

[2] –ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق وتعليق: أحمد فريد أحمد، المكتبة التوفيقية، ج1، ص 44.

[3] –الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ،1998، ج1، مادة (د. ل. ل)، ص295.

_دلّه على الشيء يدله دلا ودلالة فاندلّ: سدده إليه.

_والاسم: الدِّلالة والدُّلالة بالكسر والفتح، والدُّلولة والدليلي. قال سيبويه: والدليليّ عِلمه بالدَّلالة ورسوخه فيها[1].

وكل هذه المعاني تدور في فلك الاهتداء والتوجيه إلى الطريق ومعرفة جوانبه.

أما في الاصطلاح ف "الدلالة في الاصطلاح تعني "الاستدلال"؛ فهي شقان: دال ومعنى؛ ف "الدال" هو المتولد من المعنى الأصل وأما المعنى فمتولد من الدلالة على الشيء ما يمكّن كل ناظر أن يستدل بها عليها كمثل ذكر (الخالق والإبداع) دلالة على الخالق. ومن الاستدلال وهو الفعل الذي يقوم به المُستَدِل[2].

فالدلالة تعني إرشاد شخص طلبَ معرفة، وبهذا تكون الدلالة هي العلاقة القائمة بين الدال والمدلول، فكلا منهما مكمّل للآخر أو هما مرتبطان ارتباطا عضويا لا يمكن فكه بحال من الأحوال.

وعلم الدلالة" يعرفه بعضهم بأنه "دراسة المعنى " أو " العلم الذي يدرس المعنى " أو " ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى " أو " ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب

توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى"[3].

[1]– انظر، ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم: لسان العرب، تح: أحمد سالم الكيلاني وحسن عادل النعيمي، مركز الشرق الأوسط الثقافي، بيروت، ط1، ج7، مادة (د. ل. ل)، ص 152–153.

[2]– انظر: طالب محمد إسماعيل: مقدمة لدراسة علم الدلالة (في ضوء التطبيق القرآني والنص الشعري)، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2011، ص18–19.

[3]– أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998، ص11.

وللدلالة أقسام تبدأ بما يتعلق بالتنظيم الشكلي لها والذي يبدأ من العنصر الصوتي الأصغر المكون لها وهو الحرف لأنها على اختلافها وتنوعها تعمل على تغيير معنى الكلمة عند تغيير الصوت وبالتالي تغيير صفته، ثم تنتقل إلى التركيب في الكلمات والتنسيق داخل الجمل[1].

وللدلالة ارتباط مع النفس فالعلاقة التي تربط الدال بمدلوله في علم المنطق لا يمكن تركها دون قواعد أو قوانين، لأن علم المنطق يهدف إلى عقلنة الأفكار بإخضاعها إلى قوانين تنتظم في إطارها.

والنظرية الدلالية عند الفارابي " لا تخرج عن إطار علاقة الألفاظ بالمعاني ضمن القوانين المنطقية ويمكن أن نجمل تعريف الفارابي لعلم الدلالة بأنه الدراسة التي تنتظم وتتناول الألفاظ ومدلولاتها وتتبع سنن الخطاب والتعبير لتقنينه وتقعيده. "[2]

كما بين الغزالي على نحو علمي راق علاقات الألفاظ بالمعاني، ولم يخرج عن تلك المحددة قبلا، وهي علامة المطابقة وعلاقة التضامن وعلاقة الالتزام.[3]

وبالإمكان القول إن المعنى الأوضح من دلالة اللفظ أنه عندما يتبادر أي لفظ إلى الذهن فالمعنى أو الصورة التي ترتسم في النفس هي الدلالة من وراء هذا اللفظ.

[1]–انظر، شهرزاد بن يونس، محاضرات في علم الدلالة، جامعة الأخوة منتوري قسنطينة، الجزائر، 1440–1443 هـ ،2019–2020 م، ص 105–111.

[2]–منقور عبد الجليل: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص33–34.

[3]–الغزالي: معيار العلم في المنطق، تح: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر 1969، ص42–43.

الأصوات وصفاتها والفائدة منها

الصفة بالنسبة للأحرف هي " الحالة التي تعرض للحرف عند حلوله في مخرجه، ليظهر ما به من جهر واستعلاء وقلقة "[1]

ولمعرفة الصفات الخاصة والمميزة للأحرف فوائد عديدة من المستحسن أن يكون الكاتب على عناية بها واطلاع عليها لئلا يقع في الغلط وأن يكون القارئ على دراية كافية بها ليتمكن من الوصول إلى المعنى المراد والدلالة المطلوبة بعينها دون سواها.

ومن فوائد معرفة الصفات: تمييز الحروف المشتركة في المخرج ومعرفة القوي من الحروف من الضعيف وتحسين لفظ الحروف وتجميلها كتخليص حروف المد وتخليص المرقق من المفخم وغيرها من الفوائد[2].

والفائدة الأكبر من معرفة الصفات للأصوات هي معرفة تأثير الصوت وصفاته على الدلالة لأن الصوت في اللغة العربية له إيحاء خاص، فهو إن لم يدل دلالة محدودة يدل دلالة اتجاه وإيحاء فيثير في النفس نازعا يحرضها للقبول أو النفور منه.

وتتصف الحروف بصفات تختلف باختلاف مكان خروجها من جهاز النطق ومن صفاتها: "الهمس، والجهر، والشدّة، واللين، والإطباق، والانفتاح، والصفير، والقلقلة، والتكرار، والاستطالة، والتفشي "[3]

[1]–جمال بن إبراهيم القرش: دراسة المخارج والصفات، مكتبة طالب العلم، مصر، ط1، 1433هـ–2012م، ص120.

[2]–انظر جمال بن إبراهيم القرش: دراسة المخارج والصفات، ص121.

[3]–انظر ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص 69–70.

ISSN: 2709-5312

فالرخاوة مثلا تكون مع الصفير للزاي والسين والصاد والتفشي للشين وحروف الذلاقة المفخمة تجمع بقوله: مر بنفل.[1]

وقد تطرق بعض الكتاب إلى الحديث عن تقسيم الأصوات من قبل اللغويين واللسانيين وقد ورد تقسيمها إلى مجهورة ومهموسة إضافة إلى الجمع بين الجهر والشدة والهمس والرخاوة ومنهم كمال بشر[2]. كما فصلوا في تقسيماتها من حيث كيفية مرور الهواء عند النطق بها فكانت انفجارية أو احتكاكية أو أصوات جانبية كاللام أو مكررة كالراء أو أصوات أنفية كالميم والنون ... وغيرها من صفات الأصوات.[3]

وصفات الحروف لها دور في الدلالة وإظهار معناها بشكل كبير ومتقن أو يمكن القول إن الحروف بمعناها وترتيبها مكونة لفظة يقترب كثيرا من معنى هذه اللفظة وهذا ما أورد له ابن جني بابا كاملا بعنوان "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"[4] وتلاه مباشرة باب آخر بعنوان "إمساس الألفاظ أشباه المعاني"[5]، وهذا لا يظهر إلا من خلال تآلف الحروف مع بعضها وتكوين ألفاظ وجمل، وهذا ما سيفصله البحث من خلال سورة النمل.[6]

[1] –كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص126–127.

[2]–انظر، كمال بشر: علم الأصوات، ص 176–180.

[3]–انظر، كمال بشر، علم الأصوات، ص 213–214.

[4]– ابن جني، أبي الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ج2، ص145.

[5]–ابن جني، أبي الفتح عثمان، الخصائص، ص152.

القرآن الكريم والصوت والألفاظ

اتخذت المباحث الصوتية عند العرب القرآن أساسا لتطلعاتها وآياته مضمارا لاستلهام نتائج أبحاثها، وهي حينما تمازج بين الصوت والدلالة في آيات القرآن وألفاظه فإنما تتجه بطبيعتها التفكيرية لرصد ذلك الإعجاز مسخرة لخدمة القرآن الكريم.

وقد اعتبر بعض العلماء فصاحة الألفاظ القرآنية أحد وجوه إعجازه ومنهم الخطابي، قال: "أعلم أن القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن أشكال التأليف متضمنا أصح المعاني بأنسب الألفاظ.

وهو يعتبر اختيار أنسب الألفاظ عمود البلاغة التي تأتي من وضع كل نوع من ألفاظ الكلام في موضعه الخاص الأشكل به والأنسب له، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء من الإبدال إما تبدل المعنى وفساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة.

ذلك أن في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في المعنى وفي بيان مراد الخطاب والأمر فيها غير ذلك لأن كل لفظة فيها خاصية تتميز بها عن غيرها باختلاف أحرفها وأصوات تلك الأحرف المكونة لها[1]

فلو استخدمت لفظة (رحمن أو غفور) أو أي لفظة أخرى مكان لفظتي (حكيم عليم) في الآية من قوله تعالى:

"وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم "[2]

[1] انظر: بغدادي بلقاسم، المعجزة القرآنية، ديوان المطبوعات المركزية، الساعة المركزية، الجزائر، د. ط، 1992، ص 251

[2] النمل / 6.

ISSN: 2709-5312

لتغير المعنى وفسد فسادا كبيرا لأن الحكيم بأمور الدنيا والدين والعليم بشؤون الناس هو من يستطيع أن ينزل قرآنا ويجعله محفوظا عنده ويحفظ اللغة العربية فيه، وبالطبع صفات الأصوات المستخدمة هي المصدر الأول لاستخدام الكلمة في هذا الموضع.

وإذا اختصرنا دليل الإعجاز عند سماع القرآن واستحالة معارضته والعجز عند محاولة ذلك يمكن للبحث الاستعانة بما أورده الجرجاني حين قال: " قد سمعنا ما قلتم، فخبرونا عنهم عماذا عجزوا؟ أعن معان من دقة معانيه...؟ أم عن ألفاظ مثل ألفاظه؟ ... فقلنا أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه...ومجاري ألفاظها ومواقعها"[1]

وفي الآية التي تليها تماما قال تعالى:

" إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون "[2]

استخدام (آنست) في هذا الموضع من الآية الكريمة له دلالات عدة وأهمية بالغة لذلك لم يستخدم (شاهدت) مثلا أو (رأيت) بل (آنست) من المؤانسة والأنس والمدة فيها تعطيها مدى أوسع للمؤانسة وانسجامها مع النون والسين وهما على الترتيب جهري ومهموس يعطيان معنى القوة التي رآها سيدنا موسى في النار والفرج الذي سيصل إليه بذهابه إليها.

[1]–عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، مديرية الكتب والمطبوعات، 1988–1989، ص 32.
[2]–النمل /7.

ISSN: 2709-5312

بذلك يكون ترتيب الأحرف هو ما أدى المعنى المراد والدلالة المبتغاة والذي أوضح ذلك صفات أصوات الأحرف المستخدمة. كما أن استخدام (شهاب قبس) في موقعه الذي يبين كيفية عودة سيدنا موسى إلى أهله وهو يحمل الشهاب.

ربما لإعطاء التفاؤل الذي يشعر به الإنسان عند رؤية الشهاب أو تحقيق الأمنيات عند رؤيته فكانت اللفظة بما تبتدئ به من شين تحمل معنى التفشي ربما هو تفش للنور الذي رآه سيدنا

موسى من النار، إذا ساعدت دلالة التفشي مع دلالة الهاء المهموسة والألف المطلقة والباء

المجهورة المتصفة بالإذلاق على تكوين دلالة الكلمة.

فجاءت الكلمة مع دلالة أصواتها أدل وأعمق من أي لفظ آخر.

وأمثلة ذلك كثيرة فلفظة (تهتز) في الآية العاشرة قال تعالى:

"وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون"[1]

وتهتز هنا بمعنى تتحرك وتتمايل، لكن تهتز أدق في المعنى بسبب ترددات حرف الزاي والهاء هما من أعطاها معناها الدقيق ولو استخدمت أي لفظة أخرى سواها لم تكن قادرة على الإتيان بالمعنى مثلها.

[1] النمل / 10.

وأما عن (تبسم ضاحكا) في قوله تعالى عن وصف سيدنا سليمان وقصته مع النملة وماذا فعل عندما سمع صوتها وفهم منطقها من تحذيرها للنمل بالابتعاد من أمام جيش سليمان وإلا سيحطمهم، قال تعالى:

" فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي ..."[1]

تتبادر إلى القارئ الصورة التي قُصدت من التبسم والضحك ولماذا استخدم اللفظان هنا وربما يقول قائل إنهما يحملان نفس المعنى، ولكن واقع الأمر أن التبسم ليس له صوت ولا تظهر فيه الأسنان إلا قليلا أما الضحك فيصدر صوتا مستفادا من أصوات الأحرف وفيه إظهار للأسنان حتى الضواحك منها.

كلها أمثلة عن مدى اهتمام اللفظ القرآني بالدقة باختيار الأصوات للدلالة على المعاني ووجب التنبيه إلى أن الجرجاني قد أفرد فصلا عن مزايا النظم بحسب المعاني أي فصلا عن تعالق الألفاظ والأصوات مع الدلالة والمعنى.[2]

سورة النمل وتعالق الأصوات مع الدلالة فيها

سورة النمل هي السورة السابعة والعشرون من سور القرآن الكريم، عدد آياتها ثلاث وتسعون آية تنوعت بمحتواها بين عدة قصص فهي تنتقل من قصة سيدنا موسى من الآية السابعة إلى الآية الرابعة عشر بما تحويه القصة من رؤية سيدنا موسى للنار العظيمة وذهابه إليها وتصوير خوفه وذهوله عندما سمع صوت الله تعالى وذكر آياته التسع التي أرسل بها إلى بني إسرائيل،

[1] النمل / 19.

[2] –عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 69–73.

ثم قصة سيدنا داوود وسليمان مكلّم الطير والحيوانات من الآيات(15-44) وذكر قصة سماعه لكلام النمل عند مرور جيشه وشكره لله على ما أتاه من علم ونِعم ثم ذكره للهدهد الذي جاء من سبأ بخبر يقين مع ذكر قصة ملكة سبأ وإيمانها مع سيدنا سليمان بالله رب العالمين.

وبعدها يذكرنا بقصة نبي الله صالح مع قوم ثمود وكيف عقروا الناقة ولم يمتثلوا لأوامر الله تعالى في ثماني آيات ومن بعدها قصة سيدنا لوط ونجاسة قوم عاد وخروجهم عن الطبيعة التي خلق الله البشر عليها وكيف كان مصيرهم مع امرأة نبي الله في أربع آيات محكمات،

ويتابع في باقي آيات سورة النمل بالهداية والوعظ والإرشاد للناس أجمعين.

ولسورة النمل مقاصد عدة يذكر البحث أهمها:

" الإيمان بالوحي وأن الغيب كله لله ...بأن الله هو الخالق الرزاق واهب النعم ...الإيمان بأن الحول والقوة كلها لله "[1]

لكن الملفت فوق كل هذا هو اختيار الأصوات واستخدامها مع بعضها البعض بتنسيق فريد من نوعه وتركيب إلهيّ بديع ومعجز فسورة النمل تبدأ بقوله تعالى: " طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين" [2]

تبدأ السورة من بعد بسم الله الرحمن الرحيم بحرفين هما (طس) والطاء والسين حرفان يتصفان بالرخاوة التي تعطي اللين والسهولة والاتساع، والبدء بهما يعطي شعورا مميزا باللين ويساعد بإيصال دلالة الرغبة بإكمال

[1] التصوير الصوتي في القرآن الكريم سورة النمل أنموذجا، إعداد ليلى بن صوشة والربح بن صوشة، جامعة محمد بو ضياف، المسيلة، الجزائر، 1442-1443 هـ -2021-2022 م، ص7.

[2] -النمل/1.

ISSN: 2709-5312

القراءة لمعرفة ما وراء هذا اللين من الرحمن الرحيم ثم تكرار حرف التاء ثلاث مرات في الآية ذاتها يعطيها قوة وشدة (تلك، آيات، كتاب) ويظهر دلالة قوة وعظمة آيات القرآن الكريم.

إذاً فاستخدام أصوات اللين والرخاوة يتلوها حرف يتصف بالشدة وهو التاء، مع استخدام الإذلاق مع حرفي النون والباء أعطى خفة وسلاسة مع إظهار القوة أي أنّ آيات القرآن الكريم بقدر قوة برهانها وقدرتها على الإعجاز بقدر سلاستها وخفتها على الإنسان واللسان.

إضافة إلى استخدام حرف المد الياء مع النون في نهاية الآية أي استخدام صوت اللين مع التوسط والابتعاد عن الشدة إلا لبيان قوة وعظمة الآيات لإيصال دلالة الترغيب في سماع مزيد منها والابتعاد عن دلالة الترهيب منها.

وفي الآية الرابعة من السورة ذاتها قال تعالى: "إنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة زيّنا لهم أعمالهم فهم يعمهون"[1]

نلحظ في هذه الآية تكرار استخدام النون ستَّ مراتٍ مع التشديد على اثنتين منها والنون صوت يتميز بالجهر ويراد من استخدامه إيصال الصوت الشديد القوي أحيانا والتوسط في تلك الشدة أحيانا أخرى وكأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يظهر لهم شدة عدم إيمانهم باليوم الآخر وشدة تخيلهم لأعمالهم السيئة أنها أعمالٌ صالحة ولكنهم يصرون على ما هم عليه من ضلال فهم (يعمهون) أي أنهم محتارون مترددون.

كما نلحظ تكرار (الهاء والميم) في أربع كلمات في ذات الآية (لهم، أعمالهم، فهم، يعمهون) وهذا يعطي الظهور والتوضيح للأمر المراد مع اللين والسهولة والاتساع باعتبار الميم حرف إذلاق والهاء حرف جهر.

[1] النمل/4.

ما أعظم القرآن وما يا لدقة ألفاظه وترتيب أصواته، لكن كم من الويل سيصل إليه أولئك الضالون بعد هذا الاتساع الذي يوسعه ظنهم بصلاح أعمالهم وهي أسوء ما تكون، وأسوء مصير يعيشه الإنسان ويصل إليه مبتعدا عن الهداية رغم ظهور التحذير ووضوحه بشكل متكرر.

وجاء استخدام (العين) التي تعطي معنى الجهر وتدل على الصوت الشديد القوي في لفظة (يعمهون) لتعطي معنى أقوى ودلالة أوضح للكلمة و"العمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق"[1]

ومن الملاحظ استخدام صوت الهاء في الكلمة السابقة دونا عن غيره ودون الاستغناء عنه ذلك لأن الدلالة المرجوة من تصوير حال التردد والحيرة والارتباك لديهم لا تتأتى إلا من خلال ترتيب الأصوات بهذا النسق وترتيب صفاتها التي تؤدي الدلالة المطلوبة.

أما عن استخدام حرف الصاد والدال مع بعضهما هناك دلالات واسعة قال تعالى: "وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل فهم لا يهتدون"[2] وتكرار الاستخدام بقوله تعالى: "وصدّها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كفرين"[3] في الآيتين السابقتين تكرار لكلمة (صدّ) مع استخدامها بضمير مختلف، أو تكرار استخدام (الصاد والدال المشددة) للدلالة على الإغلاق وإحكامه أيضا، وكأن الشيطان أعمى قلوبهم ليروا أعمالهم وكأنها زينة الأعمال فأغلق بذلك عليهم طريق الرجوع إلى الصواب، وكذلك الأمر مع ملكة سبأ التي كانت وقومها يعبدون الشمس من دون الله.

---

[1]–الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر: تفسير الكشاف، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 1430هـ–2009م، ص775.

[2]–النمل/ 24.

[3]–النمل/43.

وهذه العبادة للشمس كونت (صدّا) أو (سدّا) إن أمكن القول لأن الصاد أخت السين ولكن أبدلت السين صادا لأنها أقوى في المعنى وتعطي معنى الاستعلاء والإطباق مع الدال التي تحمل صوت الشدة وزادت شدتها أيضا باستخدام الشَّدة معها فزاد الأمر شدة وصدا عن طريق الحق والهداية، ولو اختير أي صوت آخر مع الدال غير الصاد لتغير المعنى وخفت شدته وضَعُفت قوته ولكن ترتيب صوتي (الصاد والدال) مع بعضهما أعطى المعنى قوة وشدة في الصد عن الهداية.

أما عن قوله تعالى:

"أمّن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الريح بشرا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون"[1]

تبدأ هذه الآية مع (يهديكم)واللافت فيها الكاف ذات الصوت المجهور والهاء والياء والدال والميم فهي أحرف ذات صوت مهموس، وحرف الجر (في)فيتكون من حرف مهموس وآخر مجهور، (ظلمات)تحوي أربع أحرف مجهورة وحرف التاء هو الوحيد من حروف الهمس، (البر)الباء والراء من أحرف الجهر ويتلوها لفظ (البحر)ولكن بتوسط حرف مهموس بين حرفين من أصوات الجهر، وهكذا تأتي الكلمات في الآية الكريمة متناوبة بين الجهر والهمس اللذين يعطيان دلالات تختلف بين الوضوح والإظهار من قبل اصوت المجهور وبين إعطاء راحة وجمال برقة المهموس وعذوبته.

[1]–النمل/63.

كما أن توالي (الراء والحاء) [1]في ثلاث كلمات (البحر، الريح، رحمته) المشترك بينها صوتي الراء والحاء، ولهذين الصوتين دلالات صوتية مختلفة فالحاء حرف مهموس ومن صفاتها الصوتية الرخاوة، وتدل على اللين والسهولة والاتساع ربما للدلالة على اتساع رحمته وسهولة رياحه التي تبشر بالخير واتساع ظلمات البحر ولكن بالرغم من هذا كله رحمة الله وهدايته أوسع بكثير.

ومن اللازم الإشارة إلى التكرار الذي يعطيه صوت (الراء) والذي يفيد بصوته المكرر هذا تكرار المعنى والدلالة وهنا تكرار الريح والبشرى والرحمة.

ومن الملاحظ في بعض المواضع استخدام حرفي (الهاء والدال) في عدة آيات، كقوله تعالى: "هدى وبشرى للمؤمنين"[2] وقوله تعالى: "وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين"[3] وقوله:"...فهم لا يهتدون"[4]

وما ورد في قصة ملكة سبأ بقوله تعالى:" وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون"[5]، وقوله سبحانه وتعالى: "قال نكروا عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون"[6]، وصوت الهاء يتصف بالرخاوة التي تدل على اللين والسهولة والاتساع أما الدال فتحمل معنى الشدة، إضافة إلى أن الصوت الأول (الهاء)من أحرف الهمس والثاني (الدال) من أحرف الجهر وكلاهما يتصف بالإصمات الذي يعطي القوة للحروف

[1]–مجلة التربية والعلم –المجلد 19، العدد 3، سنة 2012، سمات الوحدات الصوتية لمادة (س، ب، ح) في القرآن الكريم، دراسة في الدلالة الصوتية، بحث مستل من رسالة ماجستير، د. كوليزار كاكل عزيز، خالد عولا خضر، قسم اللغة العربية، جامعة صلاح الدين، ص 210–213.

[2]–النمل/2.

[3]–النمل/20.

[4]–النمل/24.

[5]–النمل/35.

[6]–النمل/41.

ISSN: 2709-5312

وأصواتها، لكن ما السر باستخدام (الهاء والدال) على التوالي (هدى، هدهد، هدية) أو بفارق بينهما (لا يهتدون، اهتدى، وتكرار لا يهتدون مرة أخرى.

ربما لأن الهداية من القرآن الكريم لينة وشديدة في ذات الوقت، لينة على المؤمنين وشديدة على من لا يؤمنون، كما أن هدية ملكة سبأ (بلقيس) أُرسِلت لتعبر عن القوة واللين في نفس الوقت أي "مرسلة رسلا بهدية أصانعه بها عن ملكي"[1] لتظهر قوتها إن كان ملكا ولينها معه إن كان نبيا.

كما أن (الهدهد) بتتالي أصوات اللين والهمس والشدة والقوة كأنه يصف ذلك الطائر الرقيق اللين صاحب النظر الشديد القوي فقد" كان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاجة"[2]. مما يظهر مدى تعالق الأصوات مع الدلالة التي تقدمها.

أما عن قوله تعالى: "وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين"[3]

تتالت أصوات (الميم والطاء والراء) مكونة كلمة دالة على هطول المطر أو حبات الماء من السماء ولكنها هنا ليست للخير والنماء بل لعقاب مَن أنذره نبي الله لوط ولم يستجب للإنذار.

ومن المعروف استخدام كلمة (مطر) في أغلب ورودها في القرآن بهذا المعنى –معنى العقاب–كقوله تعالى حول القصة ذاتها: "ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء"[4]

---

[1] الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، تفسير الكشاف، ص782.

[2] –الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، تفسير الكشاف، ص779.

[3] النمل/58.

[4] الفرقان/40.

أما عند إرادة الغيث والخير الذي يغيث الناس فيستخدم لفظة ماء أو غيث وكل دلالة تختلف باختلاف أحرف الكلمة وأصواتها وصفاتها.

وبالعودة إلى أحرف المطر فيجب معرفة صفات أحرفها الثلاثة المتتالية وتعالقها مع دلالة العقاب التي جاءت من أجلها.

فالميم حرف مجهور متوسط الشدة والقوة ويتصف بالإذلاق أي أنه يوحي بصوته بالشدة أحيانا وتوسطها أحيانا أخرى كما أنها توحي عند لفظها بالخفة والسلاسة فهي حرف شفوي، أما (الطاء)فهي حرف مجهور شديد من صفاته الإطباق، إضافة إلى الراء المجهورة القوية رغم إيحائها بالخفة والسلاسة فهي حرف تكرار.

وكأن هذه الأصوات جاءت لتصف حال مطر العذاب وكيفية نزوله بسلاسة بادئ الأمر إلى أن اشتد وقوي وأطبق على المنذَرين جميعا مع الطاء وتكرر إطباقه عليها مع الراء التي تفيد التكرار، كما أن تكرار الكلمة ثلاث مرات يعطي دلالات أوسع لن ندخل بها.

وكلما قرأنا أكثر في القرآن الكريم كلما ازددنا دهشة من قدرته على إثبات إعجازه الذي أبهر كل قارئ له ودارس لآياته ومتمعن بمعانيه ومتفحص لأصواته. قال تعالى: "بل ادّرك علمهم من الأخرة بل هم في شكّ منها بل هم منها عمون"[1].

كلمة (شكّ) مكونة من حرفين هما (الشين والكاف) والشين حرف مهموس ويفيد صوته التفشي والانتشار والكاف صوت مهموس منفتح، وكلاهما يتصف بالإصمات مما يعطي الدلالة قوةً أكثر وكأن الجهل تفشى

[1] النمل/66.

في عقولهم فهم شاكون بوجود يوم للقيامة وكلأن الكاف جاءت لتفتح باب التفشي وتزيد انتشار الجهل والتردد أكثر بصوتها المنفتح.

الخاتمة:

إن الأسلوب القرآني أسلوب رفيع في شكله ومضمونه، وصلة الأصوات مع الدلالة واضحة كوضوح إعجازه وعلوه عن أي نص آخر، كما أن دراسة العلاقة بين الأصوات والدلالة تبدأ بالضرورة من أصغر وحدة في التركيب والنظم وهي الصوت والتعمق بصفاته ومعانيها لإظهار قوة الارتباط والتعالق بين الصوت والدلالة.

كتاب الله كتاب عميق واسع بألفاظه ومعانيه وأي بحث مهما كان عميقا لا يمكنه الإحاطة فيها فهو منجم زاخر ومجال واسع قابل لاستكناه الدرر والأسرار، ففي كل حرف من حروفه معان ودلالات تشهد بإعجازه وعظمته.

ثبت المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1. مجلة التربية والعلم، المجلد 19، العدد 3، سمات الوحدات الصوتية لمادة (س، ب، ح) في القرآن الكريم (دراسة في الدلالة الصوتية)، بحث مستل من رسالة ماجستير، د. كوليزار كاكل عزيز، خالد عولا خضر، قسم اللغة العربية، جامعة صلاح الدين، العراق، 2012.

2. طالب محمد إسماعيل: مقدمة لدراسة علم الدلالة (في ضوء التطبيق القرآني والنص الشعري)، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1 ،2011.

ISSN: 2709-5312

3. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 5 ،1975.

4. ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تح: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ج1، ج2، 1999.

5. ابن جني، أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، تحقيق وتعليق: أحمد فريد أحمد، المكتبة التوفيقية، ج1.

6. ابن سينا، أسباب حدوث الحرف، تح: محمد حسن الطيان ويحي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

7. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم: لسان العرب، تح: أحمد سالم الكيلاني وحسن عادل النعيمي، مركز الشرق الأوسط الثقافي، بيروت، ط 1، ج1.

8. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط1.

9. أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط 5 ،1998.

10. بغدادي بلقاسم، المعجزة القرآنية، ديوان المطبوعات المركزية، الساعة المركزية، الجزائر، د. ط، 1992.

11. التصوير الصوتي في القرآن الكريم سورة النمل أنموذجا، إعداد ليلى بن صوشة والربح بن صوشة، جامعة محمد بو ضياف، المسيلة، الجزائر، 1442 -1443 هـ - 2021 -2022 م.

12. الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، مادة (صوت)، ج7.

13. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

14. الزمخشري، أبو القاسم جار الله، تفسير الكشاف، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 1430هـ-2009م.

15. شهرزاد بن يونس، محاضرات في علم الدلالة، جامعة الأخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 1440-1441 هـ -2019 - 2020 م.

16. الغزالي، معيار العلم في المنطق، تح: د. سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، 1969.

17. فاعلية الصوت في إنشاء الدلالة في المفردة القرآنية نماذج من القرآن الكريم، إعداد: زياني بثينة، رحال شهرزاد، إشراف الأستاذ: عمران رشيد، مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر، 2021 - 2022 م.

18. كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000 م.

19. لجرجاني: عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، مديرية الكتب والمطبوعات، 1988 -1989.

20. مجاهد عبد الكريم، الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء، عمان، 1958 م.

21. منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001 م.

ISSN: 2709-5312